(٢٢)

باب ما جاء في أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]).

ش: الوثن: يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ومع قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٧١] وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، كما تقدم في الحديث قول اليهود: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء [١]، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور [٢]، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار. فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وفي مسند أحمد عن ابن عباس نحوه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان. وكذا قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم.

وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت الشيطان - زاد ابن عباس: بالحبشية، وعن ابن عباس أيضًا: الجبت: الشرك، وعنه الجبت: الأصنام، وعنه الجبت: حيي بن أخطب.

وعن الشعبي: الجبت: الكاهن.

وعن مجاهد: الجبت: كعب بن الأشرف.

---

(١) أي الناقة العظيمة السنام. انظر: غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٨٤).

(٢) الصُنبور: أي الأبتر الذي لا عَقِب له. النهاية (٣/ ٥٥).

قال الجوهري [١]: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟).

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]).

ش: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي غضبًا لا يرضى بعده أبدًا ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقد قال الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة عن عبد الله اليشكري عن المعرور بن سويد أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله؟ فقال: **«إن الله لم يهلك قومًا - أو قال لم يمسخ قومًا - فجعل لهم نسلاً ولا عقبًا، وإنما القردة والخنازير كانت قبل ذلك»** [٢] رواه مسلم.

قال البغوي [٣] في تفسيره: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شرًا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

---

(١) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. أبو النصر: لغوي، أديب، أصله من بلاد الترك من فاراب، رحل إلى العراق وقرأ العربية على أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي وسافر إلى الحجاز وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه في الطلب، ورحل إلى نيسابور، فلم يزل مقيمًا بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط. من تصانيفه: تاج اللغة صحاح العربية، المقدمة في النحو، كتاب في العروض، وله شعر. توفي بنيسابور سنة (٣٩٣هـ).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، حديث (٢٦٦٣).

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بابن الفراء البغوي الشافعي أبو محمد. فقيه، محدث، مفسر، ولد في بغشور، والنسبة إليها بغوي على غير قياس، وقيل: اسم المدينة «بغ» وهي بليدة من بلاد خراسان. له مصنفات منها: معالم التنزيل في التفسير، مصابيح السنة، التهذيب في فروع الفقه الشافعي، الجمع بين الصحيحين. توفي سنة (٥١٦هـ).

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاء، نصب على التفسير ﴿عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي هو من لعنه الله ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني اليهود ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠] فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى. وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي أطاع الشيطان فيما سول له، وقرأ ابن مسعود (وعبدوا الطاغوت) وقرأ حمزة (وعبُد) بضم الباء، و(الطاغوتِ) بجر التاء أراد العبد. وهما لغتان: عبد بسكون الباء، وعبُد بضمها، مثل سبْع وسبُع وقرأ الحسن (وعبد الطاغوت) على الواحد.

وفي تفسير الطبرسي [1]: قرأ حمزة وحده (وعبُد الطاغوتِ) بضم الباء وجر التاء، والباقون (وعبَد الطاغوتَ) بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب (وعُبُدَ الطاغوتِ) بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء، قال: وحجة حمزة في قراءته (وعبُد الطاغوتِ) أنه يحمله على ما عمل فيه ﴿جعل﴾ كأنه: وجعل منهم عبد الطاغوت. ومعنى جعل خلق. كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وليس عبد لفظ جمع لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه الإفراد ومعناه الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ولأن بناء فَعُل يُراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ ودنس، وكأن تقديره: أنه ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

وأما من فتح فقال: (وعبَد الطاغوت) فإنه عطفه على بناء المضي الذي في الصلة وهو قوله: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٨] وأفرد الضمير في عبد وإن كان المعنى فيه الكثرة، لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه، وفاعله ضمير (من) كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير (من) فأفرد لحمل ذلك جميعًا على اللفظ. وأما قوله: (وعُبُدَ الطاغوت) فهو جمع عبَد.

وقال أحمد بن يحيى [2]: عُبد جمع عابد، كبازل وبُزل، وشارف وشُرف، وكذلك

---

(١) هو: الفضل بن حسن بن الفضل الطبرسي الطوسي الشيعي، لغوي، مفسر، له مصنفات منها: مجمع البيان في تفسير القرآن، حقائق الأمور في الأخبار؛ غنية العابد ومنية الزاهد. توفى سنة (٥٤٨هـ).

(٢) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني المعروف بثعلب، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة وكان ثقة حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ. له مصنفات منها: اختلاف النحويين، معاني القرآن، إعراب القرآن، القراءات، وغيرها. توفى ببغداد سنة (٢٩١هـ) ودفن بمقبرة باب الشام.

عُبد جمع عابد. ومثله عباد وعُبَّاد. اهـ.

وقال شيخ الإسلام في قوله (وعبد الطاغوت): (الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال، أي من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت قال: والأفعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله، مظهرًا أو مضمرًا. وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت. وهو الضمير في عبد ولم يعد سبحانه من لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد وهم اليهود).

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [المائدة: ٦٠] مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر له مشارك كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله العماد ابن كثير في تفسيره، وهو ظاهر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقول الله تعالى**: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]).

ش: والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله. لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»[(١)] أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»** أخرجاه)[(٢)].

ش: وهذا سياق مسلم.

قوله: (سَنن) بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم. قال المهلب[(٣)]: الفتح أولى.

قوله: (حذو القذة بالقذة) بنصب حذو على المصدر. والقُذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم. أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة

---

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث (٣٤٥٦)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث (٢٦٦٩).

(٣) هو: المهلب بن أحمد بن أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، محدث، لغوي، أحد الأئمة الفصحاء، مصنف شرح صحيح البخاري. توفي سنة (٤٣٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٩).

السهم القذة الأخرى. وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة. وقد وقع كما أخبر، وهو علم من أعلام النبوة.

قوله: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفي حديث آخر «**حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك**» (١).

أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئًا، ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى. انتهى.

قلت: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قوله: (قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف، أي أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قوله: (قال: فمن؟) استفهام إنكاري. أي فمن هم غير أولئك؟

قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة. وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا» (٢).

ورواه البرقاني في «صحيحه» وزاد «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث (٢٦٤١) والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، حديث (٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو. وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف. وانظر المشكاة (١٧١)، تخريج الطحاوية ص (٢٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث (٢٨٨٩).

لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى» [١].

ش: هذا الحديث رواه أبو داود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف.

قوله: (عن ثوبان) هو مولى النبي ﷺ صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

قوله: (زوى لي الأرض) قال التوربشتي [٢]: زويت الشيء جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب. وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره. قال الطيبي: أي جمعها، حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

قوله: (وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها).

قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة - بالنون والجيم - الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند والصغد [٣]، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال. ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه.

قوله: (زوى لي منها) يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

قوله: (وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض) قال القرطبي: يعني به كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما.

وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» [٤] وعبر بالأحمر عن

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، حديث (٤٢٥٢)، وابن ماجه، حديث (٣٩٥٢) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧٧٣)، المشكاة (٥٤٠٦).

(٢) **هو**: فضل الله بن حسن التوربشتي، شهاب الدين، أبو عبد الله، **فقيه** حنفي، محدث من أهل شيراز له مصنفات منها: شرح مصابيح السنة للبغوي، وسماه الميسر، مطلب الناسك في علم المناسك، وتحفة المرشدين في اختصار تحفة السالكين. توفي سنة (٦٠٠هـ).

(٣) هي بلاد واسعة فيما وراء النهر، عاصمتها سمرقند. انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين رسول الله ﷺ، حديث (٦٦٣٠)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث (٢٩١٨).

كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة.

ووجد ذلك في خلافة عمر. فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر والأبيض والأحمر منصوبان على البدل.

قوله: (وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة) هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله (بعامة) بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة لأن عامة: صفة السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة. ويجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي الجدب المتوالى.

قوله: (من سوى أنفسهم) أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبى بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قيل. وفي زماننا هذا، نسأل الله العفو والعافية.

قوله: (فيستبيح بيضتهم) قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته. وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا.

قوله: (حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا) والظاهر أن حتى عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية، أي إن أمر الأمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضًا. وقد سلط بعضهم على بعض كما هو الواقع، وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله: (وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد) قال بعضهم: أي إذا حكمت حكمًا مبرمًا نافذًا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، كما قال النبي ﷺ: «**ولا راد لما قضيت**» [1].

قوله: (ورواه البرقاني في صحيحه) هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس

(١) أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١٠/ ٤٤٠)، وعبد بن حميد في مسنده ص (١٥٠)، حديث (٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٥٣)، حديث (٤٩٨١) عن المغيرة بن شعبة.

وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، ولم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه كثير التصانيف. صنف مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان. وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله - أو قال إن ربي - زوى لي الأرض فأريت مشارق الأرض ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال: بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، وحتى يكون بعضهم يسبى بعضًا. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق - قال ابن عيسى: ظاهرين ثم اتفقا - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى**»[1].

وروى أبو داود أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عامًا. قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: مما مضى**»[2].

وروى في سننه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج**»، قيل: يا رسول الله أيّه

---

(١) تقدم تخريجه وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، حديث (٤٢٥٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٣)، حديث (٣٧٣٠)، والبزار في مسنده (٥/ ٣٢٣)، حديث (١٩٤٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٨)، حديث (٤٥٤٩)، والطيالسي في مسنده (١/ ٥٠)، حديث (٣٨٣) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٩٣٤)، الصحيحة (٩٧٦).

هو؟ قال: «**القتل القتل**»[(١)].

قوله: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، ونحو هذا. وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٢-١٣] وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله تعالى به الهدى من الضلال.

ومن هذا الضرب: من يدعى أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف، ويدعى أن الأولياء يُدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم.

أو يُجوّز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله.

وقوله ﷺ: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» أتى بإنما التي قد تأتي للحصر بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خلد النبي ﷺ من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**...» الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: ظهور الفتن، حديث (٧٠٦١)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث (١٥٧)، وأبو داود، حديث (٤٢٥٥).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون»** (١) رواه أبو داود الطيالسي. وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»** (٢) رواه الدارمي.

وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين. فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعون وحدثه مردود، كما قال ﷺ: **«من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً»** (٣).

وقال: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»** (٤).

وقال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (٥).

وهذه أحاديث صحيحة. ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها.

وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٨-١٩] ونظائرها في القرآن كثير.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: **«هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين»** رواه الدارمي.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١)، والدارمي في سننه (١/ ٨١)، حديث (٢١١)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٣١)، حديث (٩٧٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٥٥١)، الصحيحة (١٥٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، حديث (٤٢٥٢)، والترمذي، حديث (٢٢٢٩)، والدارمي في سننه (١/ ٨٠)، حديث (٢٠٩) وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٣١٦)، والمشكاة (٥٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: حرم المدينة، حديث (١٨٧٠)، ومسلم، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، حديث (١٣٧٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث (٤٦٠٧)، والترمذي، حديث (٢٦٧٦) مختصرًا، وابن ماجه، حديث (٤٢) من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا. وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢٥٤٩)، المشكاة (١٦٥)، الصحيحة (٢٧٣٥).

وقال يزيد بن عميرة [١]: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلسًا للذكر إلا ويقول: الله حكم قسط: هلك المرتابون - وفيه: فاحذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ فقال: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقول: ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا. رواه أبو داود وغيره.

قوله: (وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وكذلك وقع. فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) الحي واحد الأحياء وهي القبائل: وفي رواية أبي داود «**حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**» والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك.

وقوله: (حتى تعبد فئام من أمتى الأوثان) الفِئام بكسر الفاء مهموز: الجماعات الكبيرة، قاله أبو السعادات.

وفي رواية أبي داود: «**وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» [٢].

وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان. وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة قال: وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية**» [٣] وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتًا

---

(١) هو: يزيد بن عميرة الزبيدى الشامي الحمصي، ثقة من كبار التابعين، نزل الكوفة، وسمع ابن مسعود قال البخاري: يعرف بحديث واحد، ولا يتابع عليه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الفتن والملاحم، باب: ذكر الفتن ودلائلها، حديث (٤٢٥٢) وهو صحيح وقد تقدم.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، حديث (٧١١٦)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، حديث (٢٩٠٦).

مبنيًا مغلقًا [١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، أو أعظم شركًا عندها وبها. فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس، لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ا هـ ملخصًا.

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا كما هو الواقع.

وقوله: (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي).

قال القرطبي: وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون، منهم أربع نسوة» [٢] أخرجه أبو نعيم. وقال: هذا حديث غريب. انتهى.

وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض: عد من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالة. فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقال الحافظ: وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ١٤٩)، حديث (٦٧٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٩٦)، حديث (٢٣٤٠٦)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢٧)، حديث (٥٤٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٩).

وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتل مسيلمة يوم اليمامة رجل من الأنصار، وتاب طليحة ومات على الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه. ونقل أن سجاح تابت أيضًا.

ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير. وأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين، فتتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك، وأعان عليه. فأحبه الناس، ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريلاً عليه السلام يأتيه. ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا. فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء. وإنما المراد من قامت له شوكة وبدا له شبهة كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر.

قوله: (وأنا خاتم النبيين) قال الحسن. الخاتم الذي ختم به يعني أنه آخر النبيين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وإنما ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ مصليًا إلى قبلته. فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا. فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية**»[1].

قوله: (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم).

قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟.

قال ابن المبارك وعلى بن المديني، وأحمد بن سنان[2] **والبخاري وغيرهم**: إنهم أهل الحديث.

وعن ابن المديني رواية هم العرب واستدل برواية من روى هم أهل الغرب. وفسر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: قتل الخنزير، حديث (٢٢٢٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث (١٥٥).

(٢) هو: أحمد بن سنان بن أسد بن حبان، أبو جعفر القطان الواسطي ثقة حافظ، إمام أهل زمانه من الطبقة الحادية عشر. توفى سنة (٢٥٩هـ) وقيل: قبلها.

الغرب بالدلو العظيمة، لأن العرب هم الذين يستقون بها.

قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولاً بأول إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ.

قال القرطبي: وفيه دليل على أن الإجماع حجة لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة.

قال المصنف: (وفيه الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية).

قلت: واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قوله: (حتى يأتي أمر الله) الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس، كما روى الحاكم أن عبد الله بن عمر قال: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية) فقال عقبة بن عامر لعبد الله: أعلم ما تقول، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»** قال عبد الله: ويبعث الله ريحًا ريحها المسك، ومسها مس الحرير فلا تترك أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة [(١)] وفي صحيح مسلم: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»** [(٢)].

وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه: **«حتى تأتيهم الساعة»** ساعتهم وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.

وقد اختلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطال [(٣)]: إنها تكون في بيت المقدس،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة...-، حديث (١٩٢٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٣)، حديث (٨٤٠٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، حديث (١٤٨).

(٣) هو: علي بن خلف بن بطال أبو الحسين البكري القرطبي من أهل العلم بالحديث، شرح صحيح البخاري

كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة قيل: يا رسول الله، أين هم؟ قال: «بيت المقدس» [١] وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: هم بالشام.

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائمًا، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قلت: ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس، فإنهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن.

فإنهم كانوا في زمانهم على الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة. والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار في الشام منهم الأئمة، وفي الحجاز، وفي مصر، وفي العراق واليمن، وكلهم على الحق يناضلون، ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة، وحجة على كل مبتدع.

فعلى هذا، فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تتفرق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره.

فإن حديث أبي أمامة، وقول معاذ، لا يفيد حصرها بالشام وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمنة لا في كلها.

وقوله: (تبارك وتعالى).

قال ابن القيم: البركة نوعان: أحدهما: بركة هي فَعَلة والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة (على) تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها مبارك. وهو ما جعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا

في عدة أسفار رواه عنه الناس. توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٩)، حديث (٢٢٣٧٤)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٤٥)، حديث (٧٦٤٣).

يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] فمن يبارك الله فيه وعليه فهو المبارك.

وأما صفته تبارك فمختصة به، كما أطلقه على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره؟ وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوه، فجاء بناء ﴿تَبَارَكَ﴾ على بناء (تعالى) الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك ﴿تَبَارَكَ﴾ دال على كمال بركته وعظمته وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء بكل بركة.